

عمر العسري

يدٌ لا ترسم الضباب

شعر

Arabesque
أرابيسك
للنشر والتوزيع

يدٌ لا ترسم الضباب

شعر

◘ يدٌ لا ترسم الضباب

◘ عمر العسري

◘ الناشر: دار أرابيسك للترجمة والنشر والتوزيع

◘ الطبعة الأولى: 2010

◘ 84 صفحة، مقاس 12×20

◘ رقم الإيداع: 19090/ 2010

ISBN: 977-17-9564-3

2، شارع علي عفت، محطة حسن محمد، فيصل الجيزة، مصر

2, Ali Effat St. Hassn Muhammed, Faysal, Giza, Egypt

www.arabesque.net arabesque.publishers@gmail.com

يدُ لا ترسم الضباب

شعر

عمر العسري

2010

دوائر مائية

لم اخترت أدراج المياه
وتركتها تتنكر لحجمها
تخون كل شيء
حتى الدافعة لم تنل منها
وردتان متربصتان بالمكان
بالماء
بالموج الهادئ
سأدعو ريشتك
خرابا أحاق بالحياة خرابا

لم الأرض قريبة جدا؟
هل ثمة انخفاض حادث؟
هل ابتاع الماء السماء؟
هل بفوقية يعامل العلو؟

لم لا ترسم الأدراج الإسمنتية
حتى نسرع...
أو ترسم الممرات الصاعدة

لم تعيث حياتنا فتنة؟
لم تدفن أسرار الحياة في اللون؟
عجلتك اللونية أغارت علينا
مزيدا منها حتى نتيه
في وحشة الألوان،
في خياشيم الظل الحاصل

هل تصوغ أدراجك وراء كل هذا؟
حتما
آثمة سعادتك
سنبتهج إلى حد الإدمان

○○○

رغبة تعترضها الطيور

○○○

-

هكذا أراها
قواقع فارغة
هكذا أراها
أنصاف ثمار
هكذا أراها
مخيال صبي فقير يرسم وردة على ورق خشن
هكذا أراها
حبيبات رمل أهملها الجزر
هكذا أراها
عرجاء، عكازها صديق حزين

٢

هكذا أراها

تنام على فراش غريب

تودع أحلامها بجوقة وساوس

حين أخفقها الرسم

سقط الإطار

مضى اللون الأزرق

استوى سيدا لا ينام

٣

هكذا أراها

تفارق كفي

تسقط...ما كانت الأرض غير حجارة

تصدر صوتا من يدي

فاجأني جسدي

يصوغ المجيء، يستعيد دما

من هي؟

٤

هكذا أراها

غيمة قريبة من الرماد

ترتدي قميصا من صوف أبيض منطفئ

تذبل بتوغل العواصف

تجد الصمت وثيرا للبقاء

5

هكذا أراها

رغبة تعترضها الطيور

وأيائل ترسم نمرا أعرج

وغبارا لسيدة مكلسة

٥

هكذا أراها

على مربع الروح

تقيم عرشا من ضوء

أو وردة جاورت الماء

يتوحد البني بالبني

فيسقط التراب

٦

هكذا أراها

يدا تستدير

تختط ارتجاجا قلبيا

بمنديل أسود ناعم

مثل زنجية داهمها

البياض في اللوحة

وتحتج تحت بياض

الشمس برغبة

مخاتله

٥

هكذا أراها

مثل فارس مر

أبصر الطحالب تنمو

فوق الأغصان كالأذرع

تمر عليها الرياح

لا تتحرك

حيث الثمار ترقد جرداء على الأرض

٩

هكذا أراها

مثل سمكة

تنضوها عيني

حالما تقفز خارج الماء

أبتسم...

قطعة قطعة

تزحف الرؤية

تنفتح وتنغلق

أو تدق عبثا

بين الساعد والرسغ

تصنع تجاعيد وجه

يشبه وجه فتى مقبل على النوم

مثل مهر جامح

يركض في زوايا الاستلقاء

يليق بخفته شيء كالغضب يعتريه

٥-

هكذا أراها

شريطا لنبض الحياة

لا يدندن

تندب مصيره الحركة والخدوش

مشروخا من جهة الرؤية

اضغط

سيواصل الكلام

اضغط

صرت أسمع نبضه

تأكد من سكته

الطويلة الفظيعة

لن يتزحزح

لا بد أن له غرة شرسة

لا تعجبي كليوباترا

وحدك في الخارج

والهواء معك راكد... مشغول بالتغلغل

هكذا أراها

ترفع صوتها

تظن أن هيبوليتوس[1] لا يسمع جنونها المفيد

أنّى رأيت انتهاء العالم

سنسكب خطواتنا

فوق خيوط متشابكة

قد لا يأتيها المساء

ومع ذلك لا نبصر شيئا

---

[1] بطل مسرحية "هيبوليتوس" للأديب الإنجليزي يور بيديز.

٢-

هكذا أراها

تمص إبهامها

من تحت أهداب كاسحة

هكذا أراها

مضغوطة على شاطئ قرية

عند معبد أبولو

هكذا أراها

مثل هسيس

يصوغ تناسبه برهبة

هكذا أراها

على ما هيأت لذاتها

ماءً وظنونا

هكذا أراها

جذورا.....

أي ملح ستألف؟

وأي ملء يصنعه الفراغ؟

ماء دافئ تحت جسر أحمر

○○○

أعرف رسمك
بأوراق التين،
كنت تجعل المنفى قريبة من نزهة الربيع
مثل أحزان الراعي،
سعال يدفئه
وهزيمة تقويه

أعرف أن الجدار
ينهش الحزن
يعبئ الأنفاس
بحفنة غبار،
انفرطت مبكرا
على خاتم صدئ

فوق رمل الوسائد،
صمغ اللافتات
عند مقبرة الأبطال،
يمضغ رصاصا، وأوراق الرسائل
يغيب سنوات...
يغيب عن الظهيرة
فتتعنس هنيهاته

السهول وحدها تجرف اللقاء،
تصنع تعبا من طين وماء،
تخط سهولا في أقفاص الشمس.
هل كان يسمي ذلك ترابا؟
ينصهر بقدر الانجراف،
يجتاز البقية بسنوات نحيفة تميل عنه،
هل كان يسعل على الخريطة؟
حتما لا قماش أمامه

فرجيل[2]، من فمه يمج الملح،
يركض بين المجادف،
يسعف السفن من الغرق...
أي غيظ يثقل الثياب؟
هل إحراق السفن ينسي مشقة السفر؟
متى كانت العطور تأبينا للرماد؟

2- فيرْجيل19 – 70) ق.م). أشهر شعراء روما القديمة، وواحد من الشعراء البارزين في الأدب العالمي. وتعد ملحمة روما الوطنية الإنيادة أشهر أعماله.

الأجواف تصنع مساكن النساء
حيث الرقص للأطيبين نارا
يناجون الليل
من مقابض الأبواب،
فأي الأزاميل
أي الأنامل
دارت بكل المفاتن
تمارس طقوس الاستلقاء
على الكتان،
تقبل يوما...
المزار، ويوما تشيخ فيه الشموع

هي ذي امرأة تصارع البرد الثرثار،
يتملاها الليل،
ينهرها، يلقاها،
يطفر بها،
لا يحتمل جنينها القدر
يصرخ،
يلقى الماء اليابس
فيبكي.
يرسم جبالا طبشورية،
تجمع حبيبات الزمن المتدحرج
بمهل، قرب الماء
تهيم بأحزان الخريف،
حيث أوراق الحائط المشجر
لا ترتكن

صمت الأوركيد

هذا الأوركيد غلبه البياض
لا تنعوه،
فالرثاء للبشر
لا تنطقوا في حضرته،
لأنه نبي بهي
يأخذ فخامته
من ضوء أصفر زهري
وردي أبيض
ما أجمله،
يوغل في صمت
أشجار الكروم واللبلاب

وداعا أيها الضوء العشبي...
يا ورد المواقد،
يا خيطا التف على عنق الدفلى.
صارت أمانيك
تتخطى قلعة فكتوريا[3]،
حيث زجاج غوزو[4]
يتلبس أضواءك،
يأتيك
نضاحا
مثل شتاء القرية.
يرعاك ظل سحابة عذراء أو حبلى،
تهرع إليك من فوضى السقوط،
والصعود حركة
تدمي غرفة التجمل أمام المرآة

3- توجد في جزيرة مالطا.
4- أشهر صناعات مالطا، وهي صناعة زجاجية فاخرة.

كل عام
والأنحاء ديدنك،
تتثاءب مثل رضيع
دعكته الصدور الرطبة
هلا انخضعت لك؟
سترى الحب والنيازك،
ستركض من غير ندم...
سيرسمك الآخر بأقلام الندم،
سنسمل أعيننا
بنكهة الأوركيد الأولى،
هلا أحطناك
بما تبقى من شدة العطر
المقطر من أجسادهن
حتى تعفو عنا،
وتسمح لرغباتنا
أن تفر إليك
خوفا من ذاكرة العشب الأبيض

لخريفين زفراتك لن تنتهي...
سلاما أيها الأوركيد
سلاما...
وهل ينفع هدير البحر
في اصطياد خريطة الألوان
من طفولة أعشاب الماء

هو صمتك

يرتوي من الصمت الأنيق،

يدق باب بستان،

يخضر في عرس

الليالي القادمه

غيمة تحرس الألوان

◎◎◎

كل الأرواح تصرخ

مثل لون

صاغه رامبرانت[5].

يصيح،

علام الاندهاش؟

---

[5]-رسام هولاندي(1606-1669) تتميز لوحاته بالقوة التعبيرية الكبيرة، ولعله استفاد في ذلك من معرفته العلمية بنظرية الضوء والظلال.

الصوت تعدى الإطار،
معلنا رغبات
استطالت على قماش قصير
مثل فوهة الجبال

الجسد الملقى،
اليد اليسرى
بدمها
درس لا ينسى.
هناك صمت
مثل ضباب
مثل لعبة موت

تغدو الرسوم ملاكا
لا ينام،
نافورة
لا تعلن الحداد.
من شحوب الجبل
إلى لطخة المداد
الرؤوس التي أعلنت الموت
كان بوسعها أن تفرغ الشلال
في سديم الأبدية،
وتبقى أبخرة الماء
صاعدة
تفسح المجال
لقطرات البلور المذاب

آية واحدة
يقولها اللون
تنحتها الفرشاة...
اللذة الفالتة
تصنع دمارا،
والجنون وحده
يجيء، يسكب عماه
على حلم
بعثره دهاء الشكل

حتى لا ننام،
كانت الألوان
تصيح...
لا بيت لها
لا وسادة،
مكشوفة...
سمّاها الآخر
وجهان قديمان

بأي لون تسمّ غيومك؟

الألوان ربما كانت وجعا آخر

تنطفئ، تشتعل

تتكرر، تتزوى

لا تنام

لا تنتهي بأسف

حين حللتَ علينا،
تركتَ الليل وحده في الليل
يسرق النهار...
ما تعب إلا من التخفي

غيمة تحرس الألوان،

تصنع مطرا،

فنطمئن لا نتظام الفصول

إبرة القمر

أي مشهد تود لو يحتوي نساء الطين؟
على خشب البلوط يلتقين،
بأيد مائلة تفرش السمراء سمرتها،
بها شقوق يصاعد منها
التاريخ الأوقيانوسي

بقليل من الضباب،
يرتاح الزجاج بملء وريقات بيضاء
يشاهدنه،
يمهلنه
أنفاسا على طبق الأمس

مر الورد أمام النسوة،
خلصهن من استلقاءة سوداء،
فرّاشة تجاور الضوء،
يد تلتمس رغبة
في فمها ابتسامة إلى حد الغروب

سيدات على الأرض الكئيبة،
يتدفقن على حافة حشائش الأيام،
يقلن أي شيء للعصافير
للقطن المنفوش بالحزن
للصحون الفارغة.
يشربن المطر
فترتجف الأقحوانات مساء

سيخرجن ليلا،
يبحثن عن إبرة القمر،
حين تدلف الروح فوق ساقية النجوم

....

النافذة تصنع العالم...
تخلق فتاة تسير بمحاذاة الريح
بعينين مفتوحتين

سليمة تصل الرؤية،

رغم الضباب كانت تمشي...

تلوح وتفكر،

ثم تذهب هادئة إلى المرآة،

تمشط شعرها الحزين

متى ستبدأ الحياة؟

بعد المرآة تماما؟

أم هي أيام لن تعاش أبدا؟

....

....

نافذة على قمر بارد

مشى الزجاج إلى الماء،
غاص في الضوء العميق،
حيث
الزورق جسد أعزب
على ظل الصنوبر.
أهو الأمس
يرمي رماده على دوائر الماء؟

هذا القمر
يستل من الغرفة
حق رمل فارغ
كنبة
ووسادتان
تشرع النافذة
على فطر وضفة.
كل الأشياء يراها القمر.
كل الأشياء تتقمص انكسار الضوء

عري الغرفة
على عماء القمر،
حيث أعشاب ثلجية
منتقاة،
مجففة، ناعمة الملمس،
لا تلامس الستائر.
تفتق أعطاف عاطفة يابسة
تنأى عن الجسد

تنتفض الغابة...

وحده التراب جاثم

في بئر الهضاب العليا،

يصنع منازل

ترميهم بجياد من طين،

تشرع الأجساد

من حقائب...

من زرقة...

من رخام...

من صمت،

وقبر وحرير

مزهرية الزجاج
ترفض الماء،
ترى في كل قطرة
بحورا من ماء.
تصنع جفافا
من عنفوان الحقول.
تحيل التراب
ذاكرة في سلة الخيزران

كالقمر الواثق من علوه،
يرى النافذة تبترد،
تزكم،
تجدد رئتها البيضاء
بقطع ضوء شفيف
وماء وبرد.
الهواجس ذاتها،
ترقب الليل من النافذة،
تصنع نايا أبيض،
يعزف بالريح حمرة الوسادة.
سينفطر المشهد بسواد
يعطل النافذة
وهي على قمرها البارد

حريق بطعم الفراشات

ooo

ما تبقى من النهر
ماء أحمر.
زمن آخر لحياة غد.
فراشة حمراء
ترسم التنين.
توقظه
خلف أدراج الحقول،
حيث الجبل
يتصبب ماء جليديا
زال بياضه بسرعة

ترسمه بخفة،
بارتجاج حاصل في الرؤية.
يغير على المكان،
يطرد الهواء بالنار.
خلف المعابد القديمة،
قرب الفضيحة الناعسة،
وحيدة منزوية مبتسمة
نورانيتها رحلة منكسر
مخطوطة بيضاء

بثرثرة العنب،
تنسج الفراشة قيامة أخرى
مشدودة إلى كوثل الزوال
إلى سطوة النار
هل ستغزل بنول من السخونة مغيبها؟

في وحشة السهول،
المفروشة بأحشاء المعابد
بالجص المتجمد على المداخن،
تولد تراتيل الهواء المحرض
صماماتها
تذوب من فرط النفس الحاصل

أيها التنين،
يا نارا تمتد إليها الفرشاة،
توقظك بزانة اللون،
تجعلك شريك الهتاف والعبادة.
نارك، نارك...
سردت أضواءها التائهة،
كيف صارت النار فتنة
تسحل الحياة من الحياة؟

لك أيها الحريق
فراسة السنونو،
وسطوة الحشرات.
لك وحدك
وسوسات الفراشة.
سر
مصغيا لفؤوس العتالين،
يوم حفرت الخنادق
بيد من غبار

تيقن من وسوسات الفراشة للماء،
قد يبدو حزينا في ضوء القمر.
وسوست له
بأن الحلم نار وبكاء

عطر اللامنتهى

○○○

استتر الجمع دون كلام
في أماكن الحص
يوفرون أعذب بص
تحت دوالي الخشب المشبك
عطر يأتي
كأمواج الناس
يطأ الأنوف

الكحل كما هو،
يعتصر العين بدفء
والرجل كما هو،
يدق حجر الكحل
بسبابة اليقين.
يحوم ويحوم
تداريه لوثة البني
ينطفئ تحت الشرفة
في جوف شقوق
داهمها طلاء أبيض منطفئ

سلاما أيها البني سلاما...
يوم تنطفئ، ويوم تولد،
يوم تعبث بالعطر والنار،
يوم تدق الرماد
بإزميل العرارة،
يوم تفوح وتفوح...
تطفو على جبين العذارى
على ملمس سلطان العمامة

يوم نراك أبخرة

تطهر المكان.

رمادا معجونا بطحين البروق،

أو نورا يعانق

ساعة اليقين

هل نسأل الليل
عن وجوه محفورة
في زوايا الظلام
تتشمم عود القمار
تلك الروائح
إلى الزوايا والأركان
تنازع جلودها
على نوافذ متعبة
تصنع حلكة الدروب

ستظل نايا
يعزف بالصمت
يغير على الفراغ
بأجراس الفوحان
يتخثر في زوايا الحجر
يلملم حياة
من أقصى الشرق

يا بلدا من خشب،
تقف كالطود الشامخ،
تلم فوهة فاه صارخ
لتلعن حياة الأشياء

زهور تخشى الماء

○○○

يقايض دمعه بمركب عائم،
يحتسي ألق المدى
فرح صغير يركل المياه.
كانت الزهور مغرورة
حوله،
تجذب العيون
تخط البسمات
تصنع اللذة
خلف القصر

وحدها الشرفة
كشفت دماملك،
يدك المشوهة
من كثرة الخلق طبعا...
من الظلال الوارفة على شقوقها...
من جسدك، سقط عنه اللثام
من امرأة، تدس بيدها في الهواء
من عازف، يقتفي عطش النغم

يا أيتها الدمامل
امتلئي ألما
واقبضي على بياض البدء
بفاتحة التوجس.
استلمي النار على ناصية الريح
واصنعي نداء الغربة

يا غربة اللون في اللون،
تحولك الفرشاة هزيمة،
تصنع غرفك الجميلة،
تعيش بالرقص والمشي،
بالعزف والغناء،
تبتل خارج الماء

الفهرست

صدر للشاعر

◘◘◘

◘ **عندما يتخطاك الضوء**، **شعر**، دار التوحيدي، الرباط، 2009.

◘ **الفرشاة والتنين**: مصاحبات نقدية في الشعر المغربي المعاصر، **دراسة**، مكتبة الأمة، الدار البيضاء، 2009.

◘ **السرد والحكاية**: قراءات في الرواية المغربية، **دراسة**، كتاب مشترك، عن مختبر السرديات ـ الدار البيضاء، 2010.

كالقمر الواثق من علوه،
يرى النافذة تبترد،
تزكم،
تجدد رئتها البيضاء
بقطع ضوء شفيف
وماء وبرد.
الهواجس ذاتها،
ترقب الليل من النافذة،
تصنع نايا أبيض،
يعزف بالريح حمرة الوسادة.
سينفطر المشهد بسواد
يعطل النافذة
وهي على قمرها البارد

أرابيسك للنشر والتوزيع
Arabesque

يدٌ لا ترسم الضباب
شعر
عمر العسري

تصميم الغلاف: طاهر البربري
أرابيسك للنشر والتوزيع
Arabesque